فضلًا عن صورة السيد المسيح وهذه الشهادة تبيّن ليس فقط جواز هذا العمل بل استعماله عندهم ايضاً

١٤ وحكى ابو الفرج ابن العبري في الاكرونيقون عن حنين الطبيب المشهور النسطوري المتوفي سنة ١١٨٢ يونانيّة: انه كان لهُ عداوة مع اسرائيل الطيفوري ووشى به عند المتوكل قائلًا ان اسرائيل يسجد لصنم في بيتهِ وانه ليس مسيحيًا الّا بالاسم فامر الحاكم فكبسوا بيت اسرائيل فوجدوا عندهُ صورة والدة الاله واتوا بها امام الحاكم وقال حنين: هذا بالحقيقة هو الصنم الذي قلتُ عنهُ. فقال اسرائيل: ان كان هذا صنماً فابصق فيه. ولم يخجل حنين من ان يبصق بالصورة. فارسل الحاكم واستدعى عنده تاودوسيوس جاثليق النساطرة وسأله في خصوص الصورة هل هي مقبولة عنده ام لا واذا كانت مقبولة فماذا يستحق من القصاص من بصق فيها فاجابهُ الجاثليق: انها ليست صنماً لكنها صورة امّ مخلصنا ويجب ان يُحرم المسيحي الذي يحتقرها فامر الحاكم فحرم الجاثليق حنيناً

فقد صحّ اذًا استعمال واكرام الصليب والصور عند النساطرة ولم نرَ احدًا منهم يقول انهم اخذوه من الكنيسة الرومانيّة بل جهدهم ان يسلسلوه الى الرسل وتلاميذهم ويثبتوا وجوده في كنيسة المسيح على الدوام مستقبحين بدعة مكسّري الصور كما تستقبحها الكنيسة الرومانيّة

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

بعض مشاهير المسلمين في هذا الطور الثاني

تقدم عليهم الشيخ حسن بن محمد العطّار كان اهلهُ من المغرب فانتقلوا الى مصر وولد حسن في القاهرة سنة ١١٨٠ هـ (١٧٦٦ م) وكان ابوهُ عطّارًا فاستخدم ابنهُ اوّلًا في دكّانهِ ثم رأى منه رغبةً في العلوم فساعدهُ على تحصيلها فاجتهد الولد في احراز المعارف واخذ عن كبار مشايخ الازهر كالشيخ الامير والشيخ الصبّان وغيرهما حتى نال

منها قسماً كبيراً. وفي أيامه جاء الفرنسويون الى مصر فاتصل بأناس منهم فاستفاد منهم الفنون الشائعة في بلادهم وافادهم اللغة العربيَّة. ثمَّ ارتحل الى الشام واقام مدَّة في دمشق ومما نظمهُ حينئذٍ قولهُ في منتزهات دمشق

بوادي دمشق الشام جُزْ بي اخا البسط وعرِّجْ على باب السلام ولا تُخطِ
ولا تبكِ ما يُبكي امرءَ القيس حومَلًا ولا منزلًا اودى بمنعرج السقطِ
فانَّ على باب السلام من البها ملابسَ حسنٍ قد حُفظن من العطِ
هنالك تلقى ما يروقك منظرًا ويُسلي عن الاخدان والصحب والرهطِ
عرائس اشجارٍ اذا الريح هزَّها تميلُ سكارى وهي تخطر في مرطِ
كساها الحيا اثواب خطر فدثرت بنور شعاع الشمس والزهر كالقُرْطِ

وتجوَّل هذا الشيخ حسن في بلاد كثيرة يفيد ويستفيد حتى كرَّ راجعاً الى مصر فاقرَّ له علماؤها بالسبق فتولَّى التدريس في الازهر وقُلد رئاسة هذه المدرسة بعد الشيخ محمَّد العروسي سنة ١٢٤٦ فدبَّرها احسن تدبير الى سنة وفاتهِ في آخر سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٥ م) وكان محمَّد علي باشا خديوي مصر يجلُّهُ ويكرمهُ. وقد خلف عدَّة تآليف في الاصول والنحو والبيان والمنطق والطب. ولهُ كتاب في الانشاء. والمراسلات تكرَّر طبعهُ في مصر. وكان هذا الشيخ عالماً بالفلكيَّات لهُ في ذلك رسالة في كيفيَّة العمل بالاسطرلاب والرُّبَيْع المقنطر والمجيَّب والبسائط. وكان يُحسن عمل المزاول الليليَّة والنهارية. وقد اشتهر ايضاً الشيخ العطَّار بفنون الادب والشعر. ومما يُروى عنهُ انهُ لمَّا عاد من سياحتهِ في بلاد الشرق رافق امام زمانهِ في العلوم الادبيَّة السيد اسماعيل بن سعد الشهير بالخشَّاب فكانا يبيتان معاً ويتنادمان ويتجاذبان اطراف الكلام فيجولان في كل فنٍّ من الفنون الادبيَّة والتواريخ والمحاضرات واستمرَّت صحبتهما وتزايدت على طول الايام مودَّتهما الى ان توفي الخشَّاب فاشتغل الشيخ العطار بالتأليف الى موتهِ. ولهُ شعر رائق جُمع في ديوانه فمن ذلك ما رواه لهُ الجبرتي (٤ : ٢٣٣) في تاريخهِ يرثي الشيخ محمَّد الدسوقي المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ (١٨١٥ م)

احاديث دهرٍ قد ألمَّ فاوجعا وحلَّ بنادي جمعنا فتصدَّعا
فقد حال فينا البَين اعظم صولة فلم يخل من وقع المصيبة موضعا
وجاءت خطوبُ الدهر تترى فكلَّما مضى حادث يُعقبهُ آخرُ مسرعا

وهي طويلة قال في ختامها:

سعى في اكتساب الحمد طول حياتهِ ولم ترهُ في غير ذلك قد سعى

ولم تُلْهِهِ الدنيا بزخرفِ صورةٍ عن العلم كيما ان تَفُرَّ وتَخْدعا
لقد صرف الاوقات في العلم والتقى فما أن لها يا صاحِ امس مضيعا
فقدناهُ لكن نفسهُ الدهر دائمٌ وما مات من ابقى علوماً لمن وعى
فجوزي بالحُسْنى وتُوج بالرضا وتوبل بالاكرام ممَّن لهُ دعا

ومن مدحوا الشيخ حسن العطار المعلم بطرس كرامه اللبناني فقال فيه لما قابلهُ في مصر :

قد كنتُ اسمعُ عنكم كلَّ نادرةٍ حتَّى رايتك يا سؤلي ويا أربي
والله ما سمعت اذني بما نظرت لديك عيناي من فضلٍ ومن ادبِ

وقام بعد الحسن العطار في رتبتهِ البرهان القويسني فتقلَّد مشيخة الازهر اربع سنوات وتوفي سنة ١٢٥٤ ﻫ (١٨٣٨) وكان مكفوف البصر عالمًا لهُ تآليف فقهيَّة قال فيهِ احد شعراء زمانهِ يوم ولي رئاسة الازهر معترفًا بسلفهِ :

ولئن مضى حسَنُ العلوم لربهِ فلقد اتى حسنٌ وأحسنُ من حسنْ
انت المقدَّم رتبةً ورئاسةً وديانةً من ذا الذي ساواك من

واشتهر بالآداب احد تلامذة الشيخ حسن العطار وهو الشيخ حسن قويدر. ولد بمصر سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩) وكان اصل اجداده من المغرب ثمَّ انتقلوا الى مدينة الخليل وتناسلوا بها ثمَّ انتقل علي قويدر والد المترجم الى القاهرة وفيها ولد ابنهُ الحسن . فلما نشأ اخذ عن شيوخ زمانهِ وخصوصًا عن الشيخ حسن العطار. ولم يزل يتقدَّم في العلوم حتَّى نال فيها شهرة عظيمة وكان مع ذلك يشتغل بالتجارة ويعامل اهل الشام ومن تآليفهِ شرحهُ المطول على منظومة استاذهِ حسن العطار في النحو وكان قرَّظها بقولهِ :

منظومةُ الفاضل العطَّار قد عبقت منها القلوبُ بريَّا نكهة عطرهْ
لو لم تكن روضةً في النحو يانعةً لما جنى الفكرُ منها يانع الثمرهْ
في ظلمة الجهل لو أبدت محاسنها والليلُ داجٍ أرانا وجهها قمرهْ
قالوا جواهر لفظ قلت لا عجبٌ بحر البلاغة قد اهدى لنا درره

ومن تآليفهِ ايضًا كتاب انشاء ومراسلات ورسائل ادبيَّة . ومنها كتاب نيل الارب في مثلثات العرب وهي مزدوجات ضمَّنها الالفاظ المثلَّثة الحركات المختلفة المعاني كمثلثات قطرب. وهذا التاليف طُبع في مصر وقد نقله الى الايطاليَّة المستشرق الاديب

المرحوم اريك ڤيتُّو قنصل ايطالية في بيروت سابقاً وطبعهُ في المطبعة الاديبيَّة . ومما يروى من شعره قولهُ :

يا طالب النصح خذ مني مبرهنةً ... تُلقى اليها على الرغم المقاليدُ
عروسة من بنات الفكر قد كُسيت ... ملاحةً ولها في الخد توريدُ
كأنها وهي بالاشكال ناطقةٌ ... طيرٌ لهُ في حميم القلب تغريدُ
احفظ لسانك من لغط ومن غلطٍ ... كل البلاء بهذا العضو مرصود
واحذر من الناس لا تركن الى احدٍ ... فالمال في مثل هذا العصر مفقود
بواطنُ الناس في هذا الدهر قد فسدت ... فالشر طبع لهم والخير تقليد

توفي الشيخ حسن قويدر سنة ١٢٦٢ وقيل انهُ في مرضه الاخير وضع تاريخ وفاته بهذه العبارة « رحمة الله على حسن قويدر » بمجموع حروفها سنة وفاتهِ

اما بلاد الشام فاشتهر من علمائها الشيخ محمَّد امين بن عمر بن عبد العزيز كان مولدهُ بدمشق سنة ١١٩٨ هـ وفيها توفي سنة ١٢٥٢ (١٧٨٣ — ١٨٣٦) برَّز بين ادباء وطنهِ واخذ عنهُ علماء الشام وقد صنَّف في الفقه والتصوُّف نحو خمسين كتاباً

واشهر منهُ في الشعر الشيخ امين بن خالد اغا ابن عبد الرزَّاق اغا الجندي ولد في حمص من أُسرة شريفة سنة ١١٨٠ (١٧٦٦) ونشأ بها في طلب العلوم ثم رحل الى دمشق فامتاز بين اقرانهِ وشهد لهُ الشيخ عمر اليافي بالتقدُّم في الشعر . وقد نظم القصائد المفيدة والقدود الفريدة وتفنن خصوصاً في الموشحات والموالياتِ والاناشيد الموقعة على آلات الطرب وقد غلبت عليهِ الغزليات . وكان سيَّال القلم طيِّب القريحة لم يمضِ عليهِ يوم خالياً من نظم او نثر يحرر في يوم ما يعجز عنهُ غيرهُ في شهر . وكان اهل زمانهِ يتزاحمون على مسامرتهِ ويتنافسون في مواصلتهِ ويتفنون باقوالهِ . وكانت وفاتهُ في حمص سنة ١٢٥٧ هـ (١٨٤١م) ودُفن قريباً من الجامع الخالديّ . ولهُ ديوان طبع قسماً منهُ بالمطبعة السليمية سليم المدوَّر سنة ١٨٧٠ ثم طبعه سنة ١٨٨٣ اصحاب المكتبة العموميَّة واضافوا اليهِ قسماً اخر لم يُنشر بالطبع . ومنذ عهد قريب تولَّى نشر ديوان الجندي بتمامهِ الاديب محمَّد افندي كمال بكداش في مطبعة المعارف . وهذه الطبعة لا تقل عن ٤٥٠ صفحة ولشهرة هذا الديوان نكتفي بذكر بعض مقاطيع قليلة تدلُّ على اساليبه فمن ذلك قولهُ من الرجز يصف فيه الربيع في ربوة دمشق :

يا حبَّذا الربوة من دمشقِ بالفضل حازت قصبات السبقِ
كم اطلعت جا يدُ الربيعِ من كل معنىً زائدٍ بديعِ
وفتَّح الورد الكفوف اذ دعا داعي الصباح للهنا ورجعا
وفكَّكت انامل النسيمِ ازرار زهر الرَّند والشميمِ
وسقطت خواتم الازهارِ من فنن الاغصان كالدراري
والتفَّ سيفُ البرق في اوراقِ مذ شام خيل الريح في سباقِ
ما بكتْ السماء بالغمامِ الَّا وصار الزهرُ في ابتسامِ

ومن محاسن شعره قولهُ مشطرًا وتخمسًا لابيات عرضها عليهِ عبد الله بك العظم في خصام النرجس والورد:

قال لي النرجس حرِّضْ لقتال الورد وادحضْ
قلتُ هذا قول مبغضْ ايها النرجسُ اعرضْ
لن تنال الافضليَّهْ
عُد الى الحق سريعًا ولقولي كن سميعا
وأنت للورد مليعا وسل الزهر جميعا
عن معايبك الرديَّهْ
قد جهلت الامر قدما وادَّعيت الحسن ظلما
فبمن اولاك حلما لا تكن للورد خصما
فهو مرفوعُ المزيَّهْ
كنت قبل العجب آنفْ وبطل الروض كامنْ
فاذا حرَّكت ساكنْ انت ربُّ السيفُ لكن
شوكة الورد قويَّهْ

ومن قوله في هجو قوم:

وقومٍ غضَّ طرف الدهر عنهم فاذوا كل ذي عرض وعادوا
وفي ظلمات ظلم الحق ساروا فادوا عند ما ظهر الفساد
وان قالوا سنرجع حيث كنَّا مخافة ان تذمَّهم البلاد
وان طلبوا رجوعهم عنادًا فما صدقوا ولو رُدُّوا لعادوا

ومن مديحهِ قولهُ في وزير من قصيدة طويلة

رفيع مقام شامخ العز ضيغمٌ غياث منيث من ظلوم اذا امتدى
يلوذ بهِ الجاني فيلغُ مامنًا ولو كان اهل الخافقين لهُ عدى
ومن أمهُ من فاقة عاد مثريًا ويرجع بعد الذل والفقر سعدا
اذا الدهر يومًا جارَّ في حكمهِ بنا على الدهر ارسلناهُ سهمًا مسدَّدا
فتىً جمع الدنيا مع الدين والحجى مع الحزم والرأي السديد مع الهدى

فاضحى لارباب الحوائج كعبةً وكهفاً لمن يأوي اليهِ ومورِدا
لعمرك هذا المجدُ والحسبُ الذي سما فوق اركان المجرَّة مصعدا
ستغدو لنا للعزّ داراً وللورى بحضرتهِ باب المراد ومقصدا
ويبقى لسان الحال فيهِ مؤرخاً لك الحمد يا ذا الجود لازال سرمدا ١٢٦٢

وقال سنة ١٢٥٦ مؤرخاً وفاة السيِّد نجل الكيلاني:

في جنَّة الفردوس حلَّ كأنهُ بدرٌ ولكن نورهُ لا يحجبُ
قد صاد كلّ المكرمات وكيف لا بسطادها وابوهُ بازٌ اشهب
بوفاتهِ التاريخ انبا قائلاً هذا النجيب وليس منهُ النجبُ (لها تابع)

اشتقاق اسم القرامطة

لحضرة الاب انستاس الكرملي

للعلامة دي كُوي (J. de Goeje) عدَّة مؤلفات في تاريخ الشرق واممهِ وبلادهِ ومن جملة هذه الاسفار كتاب اسمهُ «مذكرة في القرامطة البحريين والفاطميين Mémoire sur les Carmathes du Bahraïn et les Fatimides جمع فيهِ كل ما يحتاج الى معرفتهِ من تاريخ هذا القوم او هذين القومين (ان شئت الفصل بينهما) فشفَّ بحثهُ هذا عن علم بعيد الغور واطلاع واسع على تاريخ الشرق في العصور المتوسطة ولذا جاء كتابهُ هذا مما لا يستغني عنهُ شرقيّ من محبي التاريخ والوقائع

وقد زاد في آخرهِ زيادات حسَّنت الكتاب حتى غدا وحيداً في بابهِ الَّا انهُ توقَّف في تعيين معنى القرمطيّ والقرمطة فذكر جميع الاراء التي توفق الى العثور عليها من كتبة الغرب والعرب ومع ذلك فلم يشفِ الغليل. ولا نريد هنا ان نذكر الاراء المختلفة في هذا الصدد فمن اراد الوقوف عليها فليطالعها في المذكرة المذكورة بل نريد ان نأتي هنا على معنى هذه اللفظة على ما بدا لنا. واول كل شيء نأخذ على حضرة العلامة دي كُوي انهُ نسي فصلاً مهماً يتعلَّق بمراتب القرامطة التي يستدرجون بها الناس ويستنزلونها مراتب تُظهر نياتهم الخبيثة وتفسح لنا مُغلق هذه التسمية الغريبة. وقد وقع بيدي قبل عدة سنوات كتاب خط يبحث عن هذه المراتب وقد نقلتها في مذكرتي ونسيت ان اذكر اسم الكتاب والمؤلف. الَّا اني اوكد ان صاحبهُ من مشاهير الكتاب واكابرهم وكلامه الآتي حُجَّة مما يجب الحرص على حفظهِ قال: